بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة ملحمة الشهيد

بقلم نبيل شبيب

كانت على وقع الانتفاضة الأولى وما صنعته حجارة الأطفال والناشئة خلالها

نشرت في موقع الإسلام على الشبكة - إسلام أون لاين يوم ١ / ١٠ / ١٩٩٩م

وفي كتيب يوم ١ / ٧ / ٢٠٠٢م

وفي نسخة شبكية يوم ١٧ / ٢ / ٢٠٢١م

إهداء

إلى الجنين الشهيد..
قتله البغاة وأمّه، ولمّا يرَ أرضه بعد
إلى الطفل الشهيد..
سالت دماه على محفظته وحجرُ الإباء في يده..
إلى الشاب الشهيد..
ولد ونشأ في ظلّ الاحتلال وعصر الانخذال، ففضّل موت الأحرار، على حياة يستسيغها أشباه الرجال
إلى كلّ أخ وأخت في ثورة الانتفاضة، دربكم درب الكرامة بعد المهانة، والعزّة بعد المذلّة، والإباء بعد الاستكانة، والتحرّر بعد العبودية.. درب الجهاد الموصل بإذن الله وعونه إلى نصره
ملحمة الشهيد [1]

عناوين فصول الملحمة

صفحة
٣ إلى أهل الأدب
٦ درب الأحزان
٨ درب الجهاد
١١ المخذّلون
١٤ عروبة الإسلام
١٨ هوامش
تعقيب:
١٩ أبيات بقلم الشاعر القدير دكتور سمير العمري
٢١ أبيات بقلم الشاعر "الصمصام"، من ملتقى واحة الشعر والأدب

إلى أهل الأدب

حَـيِّ الشَّـهيـدَ وَأَضْـرِمْ ثَـوْرَةَ الأَدَبِ
وَارْوِ المَلاحِـمَ فـي المَيْـدانِ لا الكُـتُـبِ

وَاغْفِرْ قُصوري فَلا التَعْبيرُ يُسْـعِفُـني
وَلا القَـوافـي.. أُناديهـا فَتَـهْـزَأُ بـي

وَلَيْتَ في الشِّـعرِ ما يُـرْوى بِنَزْفِ دَمي
وَالدَّمْـعِ فـي قَلَـمٍ بِالحَـقِّ مُؤْتَـبِـبِ (٢)

وَما المِـدادُ وَإِنْ جـادتْ قَـرائِـحُـنـا
كَمَـنْ يَجـودُ بِمَسْـفوحٍ وَمُنْـثَـعِـبِ (٣)

وَلا تُشيـدُ صُـروحَ المَجْـدِ قـافِيَـةٌ
وَلَـوْ وَشـاها مُلـوكُ الشِّـعْـرِ بِالذَّهَـبِ

فَكَـمْ تَـداعَـتْ إِلى الأَقْصـى مَنابِرُنـا
حَتَّى أَلِـفْنـا دُروبَ النَّصْـرِ في الخُطَـبِ

وَكَـمْ عَزَفْـنـا عَلـى لَحْـنٍ يُخَـدِّرُنـا
في سَـكْـرَةِ الحُزْنِ أَوْ في نَشْـوَةِ الطَّرَبِ

ثُـمَّ اتَّخَـذْنـا ذُرى العَلْيـاءِ مُنْتَـزَهـاً
ناســيـنَ وَهْـدَتَـنـا في مَرْتَـعٍ تَـغِـبِ

غُثـاءُ سَـيْـلٍ فَلا يَخْـشـاهُ مُجْـتَـرِئٌ
مُلْـكٌ مُشــاعٌ يُنـادي كُـلَّ مُـنْـتَـهِـبِ

نَشْـكو.. وَما تَصْـنَعُ الشَّـكْوى بِأَفْئِـدَةٍ
صَـمَّـاءَ بَكْمـاءَ لَـمْ تَـأبَـهْ بِمُنْـتَـحِـبِ

تَحْكي صَـلابَةَ صَـخْـرٍ في تَـبَـلُّدِهـا
وفـي مَآسٍ تُـذيـبُ الصَّخْـرَ لَمْ تَـذُبِ

مُسْـتَكْبِـرونَ عُـتاةٌ أو عـبيـدُ هَـوىً
مُـنـافِـقـونَ مِـنَ الأَتْـبـاعِ كالخُشُـبِ

وَلَنْ تُقَوِّضَ طاغوتاً بِتَذْكِرَةٍ
وَلَنْ تُعيدَ لهُ الوِجْدانَ بِالعَتَبِ

وَلَنْ تُحَرِّرَ أَوْطاناً بِمَوعِظَةٍ
لكِنْ بِجيشٍ مِنَ الأحْرارِ ذي لَجَبِ

وَصَحْوَةُ الجيلِ بِالإسْلامِ ذاوِيَةٌ
ما لَمْ تُحَطِّمْ قُيودَ الوَهْنِ وَالرَّهَبِ

فَلا تَكُنْ بِجهادِ الفِكْرِ مُنْتَشِياً
وَالفِكْرُ لَمْ يُغْنِ عَن دِرْعٍ وَعَنْ يَلَبِ (٤)

وَرُبَّ داعِيَةٍ بِاسْمِ التَّحَرُّرِ لا
يَخْفى تَعَبُّدُهُ لِلْجاهِ والنَّشَبِ (٥)

أَوْ فاسِقٍ أَنْكَرَ الأَدْيانَ مُدَّعِياً
في الفِكْرِ مَنْزِلَةً والفِكْرُ في عَجَبِ

وَمُنتَهى العِزِّ في عَيْنَيْهِ جائِزَةٌ
فَاخْتالَ مِنْ سَقَمٍ في النَّفْسِ أَوْ عَطَبِ

وَرُبَّ ذي قَلَمٍ ما صانَ عِفَّتَهُ
عَنْ قَدْحِ ذي شَمَمٍ أَوْ مَدْحِ ذي ثَلَبِ (٦)

وَعاشَ مُرْتَزِقاً عِنْدَ الطُّغاةِ فَلا
تَراهُ إلاَّ عَلى الأَعْتابِ كَالحَدِبِ (٧)

يَهْوى التَّذَلُّلَ حَتَّى صارَ عادَتَهُ
إنْ رامَ مَنْفَعَةً أَوْ دونَما سَبَبِ

وَما البَلاغَةُ إنْ زاغَتْ مَقاصِدُها
وَكُلُّ فَنٍّ مِنَ الأَخْلاقِ في نَكَبِ

إلاَّ مَتاهاتِ شَيْطانٍ يَهيمُ بِها
عَبْدُ المَطامِعِ وَالأَهْواءِ وَالرَّغَبِ

وَكَمْ رَأَيتُ حَكيماً عِنْدَ مُنْزَلَقٍ
أَرْداهُ في مَرْتَعِ الجُهَّالِ فَاجْتَنِبِ

وَكَـمْ رَأَيْـتُ دُعـاةً لا يُضـارِعُـهُمْ

فـي القَـوْلِ ذو قَـدَمٍ فـي أَيِّ مُنْـتَـدَبِ

إِذا دَعَـتْـهُـمْ إِلـى المَيْـدانِ نـائِبَـةٌ

خـارَتْ عَزائِـمُهُـمْ فـي كلِّ مُـرْتَهَـبِ

فَاكْسِرْ يَـراعِيَ إِنْ صـارَتْ مَواجِـعُـهُ

عُذْرَ القُعـودِ عَـنِ الإِعْـدادِ وَالأُهَـبِ (٨)

وَإِنْ كَتَـبْـتَ فَبِـالأسْــيافِ قاطِـعَـةً

مَـعَ اليَـراعِ.. وَغَيْـرَ اللهِ لا تَـهَـبِ

درب الأحزان

يا نـازِحونَ صُـروفُ الدَّهْرِ تَصْحَبُكمْ
أَنَّـى حَلَلْتم فَلا مَنْـجى مِـنَ النُّـوَبِ (٩)

عَكَّا وَيـافـا دُمـوعٌ فـي مَحاجِـرِكُـمْ
وَالدَّارُ وَالحَقْلُ وَالزَّيْتونُ في الرُّطُـبِ (١٠)

وَفـي مَسـامِعِكُـمْ أَصْـداءُ مَأذَنَــةٍ
الليـلُ أَسْـــكَتَـهـا وَالفَجْــرُ لَمْ يَـؤُبِ

ناءَتْ ظُهورُكُمُ مِـنْ حَمْـلِ خَيْمَـتِـكُـمْ
وَمَسْــجِدٍ بِنِطـاقِ الحُــزْنِ مُعْتَصِـبِ

الغَـدْرُ شَـرَّدَكُـمْ وَالغَـدْرُ يَتْبَـعُكُـمْ
وَالغَـدْرُ مَوعِـدُكُـمْ في كُـلِّ مُغْتَـرَبِ

وَ"دَيْـرُ ياسـيـنَ" لِلأجْـيـالِ شـاهِدةٌ
ما مَيَّـزوا بَيْـنَ شَـيْخٍ طاعِنٍ وَصَبـي

فَما نَقـولُ بِـ "أيلول" وَقَـدْ ذُبِحَـتْ
فيـهِ المُروءاتُ رَغْـمَ الدِّيـنِ وَالنَّسَـبِ

وَ"تَـلَّـةِ الزَّعْتَـرِ" الحَمْـراءِ إِذْ فَتَحَـتْ
بِأَرضِ لُبْـنـانَ بـابَ الفَتْـكِ والسَّـلَبِ

"حِصـارُ بَيْـروتَ" لا نَنْسـى فَظـائِعَـهُ
وَلا الشُّـهودَ مِنَ الأعْوانِ والنُّـخَـبِ (١١)

وَيَـوْمُ "صَـبْـرا وَشـــاتيـلا" يُذَكِّـرُنـا
بِيَوْمِ فـاضَ دَمُ الأَقْـصـى إِلى الرُّكَـبِ

"حَـرْبُ الخِيـامِ".. وَما انْفَضَّـتْ مَآتِمُنـا
تُـراكِـمُ الجُـرْحَ فَوْقَ الجُرْحِ وَالنَّـدَبِ

زَفُّـوا المَـذابِـحَ أَعْـراسـاً لِمُغْتَصِـبٍ
وَالمَهْـرُ أَرْضٌ تُعانـي عُهْـرَ مُغْتَصِبِ

وَالقَتْلُ مِنْ قُبُلٍ وَالقَتْلُ مِنْ دُبُرِ
لا فَرْقَ بَيْنَ ذَوي القُرْبى وَمُعْتَقِبِ

وَكَمْ شَريدٍ رَحى المَأْساةِ مَوْطِنُهُ
وَأَهْلُهُ مِزَقٌ أَوْ ذِلَّةٌ وَسَبي

ذاقَ القُيودَ بِأَرْضِ العُرْبِ قاطِبَةً
وَذَنْبُهُ أَنَّهُ في الأَهْلِ كَالغُرُبِ (١٢)

وَالمُسْلِمونَ غَدَوا مِلْيارَ مُضْطَهَدٍ
في قَبْضَةِ الظُّلْمِ وَالتَّزْييفِ وَالخَلَبِ (١٣)

فَمَزِّقِ الإِثْمَ في الرَّاياتِ خافِقَةً
بِأَلْفِ لَوْنٍ مِنَ التَّدْجيلِ مُجْتَلَبِ

وَفي الخِياناتِ إِذْ يَأْتي بَوائِقَها
أَهْلُ الكَبائِرِ عَمْداً غَيْرَ مُحْتَجِبِ

وَأَسْمِعِ الخائِنَ الغَدَّارَ ما هَدَرَتْ
بِهِ الحَناجِرُ وَالأَحْجارُ في الكُثُبِ

"اللهُ أَكْبَرُ".. وَالإِخْلاصُ رائِدُنا
مَنْ كانَ مُعْتَصِماً بِاللهِ لَمْ يَخِبِ

درب الجهاد

يا مَنْ تَكَرَّمْتَ بِالإِسْراءِ مُعْجِزَةً
وَأَهْلُ مَكَّةَ أَسْرى الشَّكِّ وَالعَجَبِ

فَضْلٌ مِنَ اللهِ فَالأَكْوانُ ساجِدَةٌ
وَصَفْوةُ الخَلْقِ صَفٌّ خَلْفَ خَيْرِ نَبي

فَضْلٌ أَتى خاتَمَ الرُّسْلِ الكِرامِ عَلى
ظَهْرِ البُراقِ وَتَحْتَ العَرْشِ لَمْ يُرَبِ (١٤)

فَضْلٌ تَوارَثَهُ الأَخْيارُ مُنْتَقِلاً
يُوحِّدُ اللهَ في الأَكْوانِ وَالكُتُبِ

وَالعَهْدُ في لَيْلَةِ المِعْراجِ يَغْمُرُنا
مِنْ سِدْرَةِ المُنْتَهى بِالفَضْلِ فَاكْتَسِبِ

ورَدِّدِ العَهْدَ فَالأَقْصى يُخَلِّدُهُ
وَصَوْتُ أَحْمَدَ في المِحْرابِ وَالقُبَبِ

وَارْفَعْ نِداءَكَ في أَرْضٍ مُكَرَّمَةٍ
بِكُلِّ وَحْيٍ مِنَ العَلْياءِ مُكْتَتَبِ

أَرْضٌ تَبارَكَ مَنْ في الذِّكْرِ بارَكَها
وَاللهُ يَحْرُسُها مِنْ أَقْدَمِ الحِقَبِ

لَمْ يَنْقُضِ العَهْدَ فيها أَيُّ مُرتَكِسٍ
إِلاَّ وَذاقَ وَبالَ الإِثْمِ مِنْ كَثَبِ

دارَ الزَّمانُ وَعادوا حَسْبَ مَوْعِدِهِمْ
إِلى هَلاكٍ - وَأَيْمِ اللهِ - مُقْتَرِبِ

هَبَّتْ فِلَسْطينُ بِالتَّكْبيرِ ثائِرَةً
وَهَبَّ أَلْفُ "صَلاحٍ" مِنْ ثَرى التُّرَبِ (١٥)

وَرَدَّدَتْ صَوْتَ تاريخٍ يُسائِلُنا
عَنِ المَمالِكِ وَالتِّيجانِ وَالصُّلُبِ

كَمْ قامَ لِلْباطِلِ المَغْرورِ مِنْ دُوَلٍ
تَبَدَّدَتْ كَفُقاعاتٍ مِنَ الحَبَبِ

سَرى النِّداءُ إلى التَّحْريرِ فَاشْتَعَلَتْ
حِجارَةُ الأَرْضِ.. كُلّ الأَرْضِ بِالغَضَبِ

فَكُلُّ طِفْلٍ وَليدٍ ثائِرٌ بَطَلٌ
يَرْمي الغُزاةَ بِسِجّيلٍ مِنَ الحَصَبِ

وَإِذْ بِغَزَّةَ إِعْصارٌ وَزَلْزَلَةٌ
وَإِذْ بِنابُلْسَ بُرْكانٌ مِنَ اللَهَبِ

وَإِذْ بِأَضْلُعِ أَهْلِ القُدْسِ صامِدَةٌ
حَوْلَ المَساجِدِ سَدّاً غَيْرَ مُنْثَقِبِ

وَإِذْ بِحَيْفا كَـ" أُمِّ النُّورِ"(١٦) أَوْ صَفَدِ
بِالكِبْرِياءِ تَحَدَّتْ كُلَّ مُرْتَهَبِ

فَفي السَّواحِلِ أَغْلالٌ مُحَطَّمَةٌ
وَفي الجَليلِ وَفي الوادي وَفي النَّقَبِ

حَقُّ الحَياةِ إِباءُ النَّفْسِ في شَمَمٍ
وَالنَّفْسُ تَعْظُمُ ما اسْتَعْلَتْ عَلى الرَّغَبِ

وَالمَوْتُ – رغْمَ غُرورِ العَبْدِ في نِعَمٍ-
لِلْعَيْنِ أَدْنى مِنَ الأَجْفانِ وَالهُدُبِ

وَالذُّلُّ يَظْهَرُ في الهاماتِ ما خَنَعَتْ
فَابْيَضَّ فيها صَغارُ العَيْشِ في النَّصَبِ

وَأَيْنَ هُمْ مِنْ شَهيدٍ خالِدٍ أَبَداً
وَاللهُ يَرْزُقُهُ مِنْ كُلِّ مُرْتَغَبِ

وَ"اللهُ أَكْبَرُ" في أَرْضي تُرَدِّدُها
روحُ الشَّهيدِ مَعَ الأَحْجارِ في الهِضَبِ

وَما رَوَيْتُ وَلكِنَّ الشَّهيدَ رَوى
مَلاحِمَ الحَقِّ أَنْواراً لِكُلِّ أَبي

فَفي فِلَسْطينَ أَحْرارٌ عَمالِقَةٌ
في ظُلْمَةِ اليَأْسِ وَالتَّيْئيسِ كَالشُّهُبِ

وَفي فِلَسْطينَ جَنَّاتٌ مُفَتَّحَةٌ
لِباذِلٍ نَفْسَهُ في اللهِ مُحْتَسِبِ

وَفي فِلَسْطينَ إِسْلامٌ يَهيبُ بِنا
ذاكَ الطَّريقُ إِلى التَّحْريرِ فَاسْتَجِبِ

المخذِّلون

يا مَن مَسَحْتَ عَنِ الأَقْصى مَدامِعَنا
وَالقَوْمُ في نَكْبَةِ الأَقْصى عَلى شُعَبِ

تَشْكو.. وَشَكْواكَ نارٌ في أَضالِعِنا
مِنْ كُلِّ ساهٍ عَنِ الأَقْصى وَلَم يَتُبِ

مِنْ مُسْتَهينينَ إِذْ هانَتْ كَرامَتُهُمْ
يُخْفونَ سَوْأَتَهُمْ في زائِفِ الحَدَبِ

يَسَّاءَلونَ عَنِ الأَطْفالِ كَيْفَ غَدَتْ
أَطْرافُهُمْ عُرْضَةَ التَّهْشيمِ بِالقُضُبِ

وَعَنْ سُجونٍ عَلى التَّعْذيبِ مُغْلَقَةٍ
قَدْ ضُرِّجَتْ بِدَمٍ جارٍ وَمُنْشَخِبِ

وَعَنْ قَذائِفِ نيرانٍ مُدَمِّرَةٍ
وَفِتْيَةٍ صَمَدوا مِنْ خيرَةِ العُصُبِ

وَعَنْ جِراحٍ تُدينُ "السَّائِلينَ" غَدَتْ
تَرْوي الحِجارَةَ في الأَيْدي بِمُخْتَضَبِ

عَزَّ النَّصيرُ وَما عَزَّ الرَّقيبُ فَلا
تَرى سِوى ضَغَنٍ في أَعْيُنِ الرُّقُبِ (١٧)

يُشَكِّكونَ: (وَما تُجْدي انْتِفاضَتُكُمْ
طِفْلٌ صَغيرٌ وَشَيْخٌ ظاهِرُ التَّعَبِ

أَوْ نِسْوةٌ ثائِراتٌ لَمْ يَنَلْنَ سِوى
ثُكْلٍ وَدَمْعٍ عَلى الأَحْبابِ مُنْسَكِبِ

أَمَّا الشَّبابُ فَما يُغْني انْدِفاعُهُمُ
وَالوَحْشُ يَنْهَشُ نَهْشَ الظَّامِئِ السَّغِبِ

دَعوا "الحَماسَ" وَسيروا في مَسيرَتِنا
لِنَقْسِمَ الأَرْضَ "عَدْلاً" دونَما غَلَبِ

نَرْضـى بِدَوْلتِهِمْ مِنْ أَجْلِ "دَوْلتِنـا"
وَفـي تَعايُشِـنـا كَسْبٌ لِمُكْتَسِبِ

نَنْسـى "المَواثيـقَ".. كَمْ كانَتْ تُعَرْقِلُنـا
لا تُفْسِدوا "الصُّلْحَ" إِصْـراراً عَلى طَلَبِ

دَعـوا "الحَماسَ".. فَأَمْـريكا تُفاوِضُـنـا
لا تُغْضِبوهـا بِعِصْـيـانٍ وَلا شَـغَـبِ

وَاسْـتَقْبَـلَ العالَـمُ الغَـرْبـيُّ قادَتَـنـا
مِن بَعْدِ "فاسٍ"(١٨) فَهـذا مُنْتَـهى الأَرَبِ

فَالصُّـلْحُ دَعْوَتُـنـا وَالأَمْـنُ غايَتُـنـا
وَالأَمْـرُ أَمْـرُ انْتِخابـاتٍ وَمُنْـتَـخِـبِ)

يا قَـوْمُ كُفُّـوا عَـنِ الأَحْرارِ وَاسْـتَتِروا
فَالحَقُّ أَظْـهَـرُ في العُـقْـبـى مِنَ الكَـذِبِ

أَثَـوْرَةٌ تِـلْـكَ حَتَّـى النَّصْـرِ صامِـدَةٌ
وَالأَرْضُ في الأَسْـرِ وَالأَهْلونَ في الكُـرَبِ

أَمْ يُـرْتَجـى الأَمْـنُ وَالأَشْـلاءُ دامِـيَـةٌ
فَأَيْـنَ دَعْـوَتُـكُـمْ لِلـكَـرِّ لا الهَـرَبِ

أَمْ أَصْـبَحَ البَطْـشُ بِالأَحْـرارِ مَطْلَبَكُـمْ
في ظُلْمَةِ السِّجْنِ وَالسَّجانُ في طَرَبِ (١٩)

هَلِ السِّـياسَـةُ في سَـعْيٍ لِذي صَـلَـفٍ
رَدَّ المَسـاعِـيَ إِذْلالاً فَلَـمْ يُـجِـبِ

أَمْ زائِـرٍ يَطْـرُقُ الأَبْـوابَ مُـمْـتَـهَـنٍ
في وَقْفَةِ السَّـائِلِ الجاثـي عَلى العَـتَـبِ

أَمِ السِّـياسَـةُ في اسْـتِجْـداءِ قاتِـلِـكُـمْ
مَـوَدَّةً.. وَمُـعـاداةِ الأَخِ "العَـرَبـي"

أَنْ كـانَ ذا عِـزَّةٍ بِاللهِ تَـرْفَـعُـهُ
فَـوْقَ الشَّـدائِدِ وَالأَحْقـادِ والعَضَـبِ (٢٠)

أَمـا مَلِلْـتُـمْ مَعَ التَّشْـريدِ فُرْقَـتَـكُـمْ
خَلْـفَ المَبـادِئِ مِـنْ بـالٍ وَمِنْ قَشِـبِ

رَبَّـاهُ عَفْـوَكَ.. قَدْ تـاهَـتْ مَراكبُـهُـمْ
في مَوْجِ بَحْـرٍ مِنَ الأَحْـداثِ مُضْطَـرِبِ

أَمَّا اليَقـينُ فَمِـثْـلُ الطَّـوْدِ فـي مُهَـجٍ
تَدْعـو عَلـى أَمَـلٍ بِاللّـهِ لَـمْ يَـرِبِ

دَرْبُ الجِهـادِ مَضـى.. أَيْـنَ العَطاءُ لَـهُ
بِالرُّوحِ وَالجـودِ.. لا النُّكْرانِ وَالصَّـخَبِ

دَرْبُ الجِهادِ مَضـى.. وَاللهُ يَكْـفُـلُـهُ
وَإِنَّ رَبَّـكَ بِالمِـرْصـادِ فَـارْتَـقِـبِ

عروبة الإسلام

قالـوا العُروبَـةُ دونَ الدِّيـنِ تَجْعَلُـنـا
نَرْقـى بِعَصْـرٍ إلى الأَدْيـانِ لَـمْ يَـثُـبِ

أَمْسـى الرُّقِـيُّ بَـعـيداً لا يُـراوِدُنـا
إلاَّ بِأَحْـلامِ مَفْـجـوعٍ ومُكْـتَـئِـبِ

وَحالُـنـا عـالَـةٌ فـي كُـلِّ مُـبْـتَـدَعٍ
يُـرْجى مِنَ العِلْمِ في الدُّنْيـا ومُكْتَسَـبِ

قالـوا العُروبَـةُ ديـنٌ فيـهِ وَحْـدَتُـنـا
هـذي رِسـالَتُـنـا في العالَمِ الرَّحِـبِ

فَسَلْ حُـدوداً وَأَعْـلامـاً مُبَـجَّلَـةً
هَلْ مَـزَّقَ العُـرْبَ إلاَّ مُلْحِـدٌ وَغَبـي

إنْ يَلْـبَسِ الدِّرْعَ فَالأَعْـرابُ مَقْـصَـدُهُ
أَوْ يُعْلِـنِ السِّـلْمَ فَالبُشْـرى لِمُغْتَـصِـبِ

حُكْـمُ الشَّـراذِمِ فَالطُّـوفـانُ يَجْرِفُـنـا
في كُـلِّ وادٍ سَـحيـقِ القَعْـرِ مُنْشَـعِبِ

فَهُـمْ.. وَبِـدْعَةُ عَلْمـانِيَّـةٍ صُـنِعَـتْ
في عَهْدِهِـمْ سَـبَبُ الخِذْلانِ وَالتَّبَـبِ (٢١)

وَغُرْبةِ الحُـرِّ في عَهْـدِ العَبـيـدِ وَكَـمْ
تَطـاوَلَ العَبْـدُ، والأَحْـرارُ في الكُـرَبِ

وَشَـرُّ مَهْزَلَـةٍ حُـكْـمُ الطَّـوارِئِ فـي
شَـعْبٍ يُكـابِـدُ أَلْوانـاً مِـنَ الشَّـجَـبِ

بِاسْمِ القِتـالِ.. فَهَـلْ كانَتْ هَـزائِمُـهُـمْ
إلاَّ ثِمــارَ ضَمـيـرٍ فاسِـدٍ خَـرِبِ

بِئْسَ العُروبَـةُ فـي أَيْـدي جَـبـابِـرَةٍ
عَلى الشُّـعوبِ ضَـحايا السَّـلْبِ وَالحَرَبِ

أَتْبـاعُ شَـرْقٍ لَئيـمٍ لَـمْ يُـلَـبِّ لَـهُـمْ
سُـؤْلاً جَليـلاً وَلا مُسْـتَصْغَرَ الطَّـلَـبِ

إلاَّ لِـدَعْـمِ نِـزاعـاتٍ يُسَـعِّرُهـا
حِقْـدٌ قَديـمٌ عَلى الإسْـلامِ لَـمْ يَـغِـبِ

أَتْبـاعُ غَـرْبٍ حَقـودٍ يَسْـتَهينُ بِهِـمْ
وَهُـمْ عَـلى خِدْمَـةِ الأَسْـيـادِ في دَأَبِ

جُـلُّ المَصـالِـحِ مَـهْـدورٌ وَمُحْتَـقَـرٌ
سِـرَّاً وَجَـهْراً فَهَـلْ لِلذُّلِّ مِنْ سَـبَـبِ

بِئْسَ المَذَلَّـةُ أَنْ يَسْـعى الحَريـصُ لَهـا
كَسَعْيِ ذي ظَمَـأٍ لِلْمـاءِ في القُـلُـبِ (٢٢)

وَمـا نَـرى دُوَلا تُخْـشـى مَكانَـتُـهـا
رَغْـمَ التَّفـاخُـرِ بِالأَلْـقـابِ وَالرُّتَـبِ

فَـلا الأَميـرُ أَميـرٌ عِنْـدَ مَـأْثَـرَةٍ
وَلا الرَّئيـسُ رَئيـسٌ يَـوْمَ مُـحْـتَـرَبِ

وَلا المُـلوكُ مُـلوكٌ عِـنْـدَ مَظْـلَـمَـةٍ
وَلا السَّـلاطينُ إلاَّ فـي سَـنا اللَـقَـبِ

كَمْ صَـوَّرَتْ أَلْسُـنُ الإعْـلامِ مِنْ بَطَـلٍ
مِنْ كُـلِّ مَكْـرُمَـةٍ في خَـيْـرِ مُنْتَسَـبِ

إذا اسْـتَـتَـبَّ لَـهُ السُّـلطـانُ طـالَعَـنـا
بِالقَـتْـلِ والسَّـجْنِ وَالتَّشْـريدِ لِلنُّـجُـبِ

وَعاشَ مُنْهَزِماً فـي ثَـوْبِ مُنْـتَـصِـرٍ
أَوْ ثَوْبِ ذي حِنْكَـةٍ لِلحَـرْبِ مُجْتَـنِـبِ

ما شَـذَّ عَـنْ مَطْلَـبِ التَّسْـليمِ مِنْ أَحَدٍ
وَكَيْـفَ يُطْلَـبُ جِـدُّ الحَرْبِ مِنْ دَعِـبِ

طَغا الفَسـادُ فَلا ميـزانَ مِـنْ خُـلُـقٍ
وَضـاعَ ذو الخِـبْـرَةِ الحَسْـناءِ وَالدَّرَبِ

لا الزَّعْمُ يَصْنَعُ أَمْجاداً لِيَخْدَعَنا
وَلا السَّرابُ نَدىً يُغْني عَنِ السُّحُبِ

أَيْنَ المَساجِدُ لِلأَفْذاذِ جامِعَةً
أَنْتُمْ بِهِجْرانِها في شَرِّ مُنْقَلَبِ

أَيْنَ الثُّغورُ عَلى البُلْدانِ يَحْفَظُها
رُهْبانُ لَيْلٍ وَفُرْسانٌ عَلى السُّهُبِ (٢٣)

أَيْنَ الجِباياتُ لا مَعْدومَ يَطْلُبُها
وَالأَرْضُ في عَهْدِكُمْ تَشْكو مِنَ الجَدَبِ

ماذا تَبَقَّى وَقَدْ باتَتْ عُروبَتُكُمْ
لا تُنْقِذُ الأَهْلَ في حَرْبٍ وَلا سَغَبِ

هذي عُروبَتُنا وَالدِّينُ يَصْنَعُها
سَلْمانُ مِنَّا.. وَدَعْ عَنَّا أَبا لَهَبِ

نَحْيا سَواسِيَ تَقْوى اللهِ تَعْصِمُنا
عَنْ ظُلْمِ مُسْتَضْعَفٍ أَوْ رَفْعِ ذي حَسَبِ

كانَتْ عُروبَةَ إِسْلامٍ فَمَوْطِنُنا
حِصْنٌ حَصينٌ وَعَنْهُ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبِ

كانَتْ عُروبَةَ إِسْلامٍ فَذِمَّتُنا
أَمْنٌ وَسِلْمٌ لأَهْلِ الدَّارِ وَالجُنُبِ (٢٤)

كانَتْ عُروبَةَ إِسْلامٍ عَدالَتُهُ
بِالعَفْوِ سامِيَةٌ.. بِالحَقِّ في رَهَبِ

كانَتْ عُروبَةَ قُرْآنٍ وَفيهِ مَدى الـ...
...أَزْمانِ ما يُعْجِزُ السَّاعينَ في الكَذِبِ

فَدَعْ عُروبَةَ أَصْنامٍ وَأَمْزِجَةٍ
مُحَمَّدٌ قُدْوَةٌ لِلْعُجْمِ وَالعَرَبِ

وَكُنْ أَبِيَّاً وَخُذْ لِلنَّصْرِ عُدَّتَهُ
إِنْ شاءَ رَبُّكَ يُخْزِ الكُفْرَ بِالرُّعُبِ

وَانْظُرْ خَرابَ حُصـونِ الشَّـرْقِ مُعْتَبِـراً
فَسُـنَّـةُ اللهِ فَـوقَ الشَّـكِّ وَالرِّيَـبِ

وَالغَـرْبُ كَالشَّـرْقِ مُنْـهـارٌ وَمُنْـدَثِـرٌ
يَـوْماً.. وَيَعْلو بِناءُ الحَـقِّ في رَجَـبِ (٢٥)

وَانْظُـرْ مَصارِعَ فِـرْعَوْنٍ وطُغْـمَـتِـهِ
صـاروا وَأَمْثـالهُـمْ في النَّـارِ كَالحَطَبِ

وَكَيْـفَ أُهْـلِـكَ قـارونٌ بـزِينَـتِـهِ
وَكـانَ أَهْـوَنَ مِنْ مُسْـتَضْعَفِ الزَّغَـبِ

يا آلَ ياسِـرَ.. قَدْ كانَـتْ شَـهادَتُـكُـمْ
بُشْـرى انْتِصـارٍ عَلى الطَّاغوتِ والرَّهَبِ

فَاسْـمَعْ بِلالاً يُنادي في الرُّبـى: "أَحَـدٌ"
وَانْظُـرْ لِقَتْـلى قُرَيْشٍ سـاعَـةَ النَّـدَبِ

وَقُـمْ وَجـاهِـدْ وَلا تَعْبَـأْ بِمُنْـكَـفِـئٍ
وَكُـنْ كَجِسْـرٍ لِجُـنْـدِ اللهِ مُنْتَـصِـبِ

وإِنَّـنـا - وَيَـدُ الرَّحْـمـنِ تَصْـنَـعُنـا -
فَجْـرٌ يَلـوحُ عَلى الآفـاقِ لَـمْ يَـقُـبِ

فَجْـرُ الطَّلائِـعِ مِنْ أَحْـرارِ أُمَّـتِـنـا
رَغْـمِ المَكائِـدِ خَلْفَ السِّـتْرِ وَالحُجُـبِ

فَيا طَـلائِـعَ نَصْـرِ اللهِ لا تَـهِـنـوا
وَلَيْسَ بَعْدَ رِضـى الرَّحْمنِ مِـنْ أَرَب (٢٦)

وَيا فِـلَسْـطيـنُ وَالإِسْـلامُ قائِـدُهـا
ثوري.. وَيا نَصْرُ هذا الدَّرْبُ فَاقْتَـرِبِ

هوامش

١- نُشرت "ملحمة الشهيد" لأوّل مرة أثناء ثورة الانتفاضة "الأولى"، وقبل بدء مسيرة مدريد وأوسلو

٢- بالحق مؤتَبِ: يرتدي لباس الحق

٣- الدم المنثعِب: الدم الجاري أو المنفجر من جرح

٤- اليَلَب: الدروع والتروس والخوذ المصنوعة من الجلد

٥- النَّشَب: المال والعقار

٦- ثَلَب: منقصة

٧- الحَدِب: الأحدب، كناية عن انحنائه الدائم

٨- الأُهَب، جمع أهبة: الاستعداد لمواجهة أمر

٩- النّوَب: النوائب. جمع أقلّ استعمالا لكلمة نائبة: المصيبة الشديدة

١٠- الرُّطُب، جمع رَطْب: كل عود ليّن

١١- النُّخَب: جمع نُخبة أو نَخب، وهو الجبان

١٢- الغُرُب: الغرباء

١٣- الخَلَب: الخداع

١٤- لم يُرب: لم يُشكّ فيه

١٥- التُّرَب، جمع تربة، وتربة الإنسان قبره، وتربة الأرض ظاهرها

١٦- أمّ النور: هو الاسم الذي أطلقه أهل فلسطين أيام ثورة الانتفاضة على بلدة "أم الفحم" المجاهدة

١٧- الرُّقُب: جمع رقيب، وهو من أسماء الأفعى أيضا

١٨- "فاس": مؤتمر قمّة فاس الذي أعلن لأول مرّة "رسميا وجماعيا" مشروعا للصلح ينطوي على الاعتراف

١٩- إشارة إلى اقتتال جرى بين المعتقلين الفلسطينيين في السّجون الإسرائيلية أثناء ثورة الانتفاضة

٢٠- العَضَب: أصلها العَضْب بسكون الضّاد، أي القطع، وهو هنا قطع الوشائج

٢١- التَّبَب: الهلاك

٢٢- القُلُب، جمع قليب: بئر الماء

٢٣- السُّهُب، جمع سَهْب: الفرس الواسعة الجري

٢٤- الجُنُب: الأغراب الأجانب

٢٥- في رَجَب: في عزّة ومنعة

٢٦- أَرَب: غاية ومقصد

تعقيب (١)

بقلم الأخ الشاعر الكبير والمفكر القدير دكتور سمير العمري، الذي ألتقي معه كثيرا في نهجه الشعري، ولا أحسن ما يحسنه في إبداع القصيد، وقد سجّل في ملتقى رابطة الواحة الثقافية، أو واحة الفكر والأدب يوم ١٧ / ٣ / ١٤٢٤هـ و١٨ / ٥ / ٢٠٠٣م، عقب نشر "ملحمة الشهيد" في المنتدى الشبكي الأبيات التالية:

هذا النبيلُ إلى الجمالِ حلَّقَ بي
جذلانَ أسبحُ بين النورِ والشُهُبِ

أعانقُ الحرفَ ملهوفاً لروعتهِ
وألثمُ النبضَ مسروراً من الطربِ

ما أجملَ القولَ إنْ سَاقَ الأسى أَمَلاً
إلَى النفوسِ ببوح الدوحةِ الخصِبِ

من كلِّ معنىً عفيفِ القصدِ مرتفعٍ
نادي الفصاحة والأخلاقِ والأدَبِ

يطاولُ الكونَ في فخرٍ وفي ألقٍ
نجومُ غايتِهِ تعلو على القُطُبِ

فللبيانِ بريقٌ إنْ سما ألقاً
خيرٌ منَ الفضَّةِ البيضاءَ والذهبِ

وللبيانِ شفيرٌ حدُّهُ رَهِفٌ
ما يملأُ الأرضَ بحراً من دمٍ سربِ

يا عاذلَ الشعرِ أنَّ الشعرَ ذو ترفٍ
رضى الأحبَّةِ فيهِ غايةُ الأربِ

أنشأتُ للشعرِ أسباباً يقالُ بها
فلستُ أكتبُ أشعاراً بلا سبَبِ

إنّي جعلتُ جهادَ الظلمِ رايتهُ

وخافقيـهِ هدى ربِّي وعزمُ أبي

لكمْ نزفتُ دماءً من جراحِ فتىً

سالتْ دماهُ فلمْ يقنـطْ ولم يخبِ

يسطِّرُ المجدَ في الأقصى بنهرِ دمٍ

شيخٌ تشبَّثَ في أرضٍ وجهدُ صبي

قاموا إلى النصرِ لا يلوي بهم رهبٌ

بلِ الكريهةُ مـن تلوي من الرهَبِ

وليس يؤلـمُ من شـارونَ خسَّتهُ

إنَّ العدوَّ خسيسُ الطبعِ والنسبِ

ما يملأ القلـب أحزانـاً ويكسرهُ

شـعبٌ ينامُ على ذلٍّ مـن العَرَبِ

طاشَ الرجاءُ بهمْ فالأمرُ مضطربٌ

وراقصُ الدفِّ فيهمْ غيرُ مضطربِ

إنْ كانَ أخلدهـمْ للذلِّ متعتهـمْ

فاللهَ ندعـو لأهلِ العزمِ والطلبِ

وربَّ طفلٍ سـعى للهِ ينصرهُ

أضاءَ دربَ العلا بالعزِّ والغلبِ

تعقيب (٢)

وهذه أبيات أخرى بقلم أخ شاعر لقّب نفسه بالصمصام في الملتقى الأدبي الفكري نفسه، يوم ١٩ / ٤ / ١٤٢٤هـ و١٩ / ٦ / ٢٠٠٣م

أوّاه يا من صهرت الحرف باللهب
حتى أسلت بقلبي سالف الحقبِ

أستلهم التاريخ أرجو فيه ملتجأً
من حلكة الدرب من ديمومة التعبِ

كم هالني القبح حتى كاد يصعقني
مجدٌ أقيم على التزييف والكذبِ

والعزّ يغرز أنياباً ملوّثةً
من الدماء على أشلاء منتحبِ

أمّا المبادئ أغراض مسيسةٌ
مطيّة الدين للأهواء والرتبِ

والجوع يحصد أجساداً مهشّمةً
أكوام بؤسٍ تموت اليوم من نصبِ

أكوام بؤسٍ على الطرقات كم نهبت
باسم التحرّر والإصلاح والنسبِ

والمترفون على المأساة قد نسجوا
فحش الثراء من الآلام والكُربِ

عصر المظالم والدولار يحكمنا
حتى غدونا عبيد القسط والذهبِ